اللسانيات النفسية (المفاهيم والمصطلحات)

اللسانيات النفسية / علم اللغة النفسي: فرع من فروع اللسانيات التطبيقية رغم ارتباط معظم موضوعاتها من حيث نشأتها بالنظريات الفلسفية، من مثل القضايا التي أثارها "تسومسكي" في حديثه عن "القدرة" و"الكفاءة" والتي لم يهتم فيها البتة بالجانب التطبيقي.

غير أن التقاطع بين اللسانيات وعلم النفس بتأثير من النظرية العقلية المعرفية للغة التي تهتم ببيان وظائف اللغة وتحديد طرائق اكتسابها وضبط أساليب تعلمها، أذكى ذلك التفاعل بين المعرفة النفسية العقلية(علم النفس المعرفي) وبين المعرفة اللسانية الفطرية(علم اللغة العقلي في بعده التحويلي التوليدي)في مقابل ما كان سائدا من تقاطع بين علم النفس السلوكي وبين علم اللغة البنوي.

تعريف اللسانيات النفسية:

تتعاور هذا المصطلح تعريفات شتى نظير تعدد المنطلقات الفكرية والخلفيات المعرفية لروادها بالإضافة إلى اختلاف وجهات نظرهم إلى هذا العلم من حيث تصنيف مباحثه وترتيب موضوعاته وضبط قضاياه.

عرفه "دافيد كريستال " بأنه : فرع من فروع علم اللغة يدرس العلاقة بين السلوك اللغوي والعمليات العقلية التي يعتقد انها تفسر هذا السلوك"، أما "جاك ريتساردز" و "جون بلات" و"هايدي بلات" فيعرفون اللسانيات النفسية بأنها العلم الذي يهتم بدراسة العمليات العقلية التي تتم أثناء استعمال الانسان اللغة، فهما وإنتاجا، كما يهتم باكتساب اللغة نفسها"، وهي عند"ألن جارانهام" علم يدرس الأليات العقلية التي يستطيع الانسان بوساطتها استعمال اللغة للوصول إلى نظرية مفهومة تفسر إنتاج اللغة واستعمالها".

الملاحظ أن جميع هذه التعريفات وغيرها تتفق في كون اللسانيات النفسية/ علم اللغة النفسي يدرس العمليات العقلية والمعرفية التي تمكن الإنسان من اكتساب اللغة واستعمالها فهما وانتاجا، مع اختلافها في تصنيف هذا العلم وترتيب موضوعاته وتحديد قضاياه.

نشأة اللسانيات النفسية وتطورها:

كانت دراسة القضايا اللغوية النفسية من انشغالات علم النفس، ولم يستقل علما بذاته إلا بعد أن طرح "تشومسكي" نظرياته التي انتقد فيها البنويين والنفسانيين السلوكيين، فاحدث بذلك ثورة في مجال الدرس اللغوي الحديث من حيث المنطلقات الفكرية والانستيمولوجية، حين تساءل تشومسكي عن ماهية اللغة وطبيعتها وعن وظيفتها، وعن كيفية اكتسابها وتعلمها، بالإضافة إلى دعوته إلى دراسة موضوعات جديدة لم تدرج ضمن مجال الدراسات اللغوية من مثل اكتساب اللغة وتعلمها. انطلاقا من نظرته إلى اللغة من حيث هي ملكة عقلية ونظام فطري كامن في ذهن الإنسان، ينبغي التعمق في دراسته والإحاطة بجوانبه وكشف أسراره، وفي إطار هذا التوجه جعلت الجوانب العقلية والمعرفية موضوعا للسانيات النفسية في بعدها التطبيقي لا النظري. حيث الوقوف عند ما يعرفه الإنسان عن اللغة وليس وصف اللغة وصفا شكليا في مستوياتها البنوية (الصوت والصرف والتركيب والدلالة). وبالتالي فلئن نشأت اللسانيات النفسية نشأة نظريةً فلسفيةً، فإنها ما فتئت أن تطورت واستقلت بمجالات بحثها من حيث هي فرع من فروع اللسانيات التطبيقية التي تهتم بالجوانب العقلية والمعرفية للغة.

اللسانيات النفسية / علم اللغة النفسي أم علم النفس اللغوي؟

إن تحديد المصطلح بشكل دقيق يساعد كثيرا على تحديد مجال البحث وضبط حدود الدراسة، إذ يتبدى مصطلحان هما اللسانيات النفسية أو علم اللغة النفسي وعلم النفس اللغوي يشوبهما بعض التداخل إلى الحد الذي أعتبرهما بعضهم مترادفين- على ما هما عليه من اختلاف، إذ لكل دلالته ومجال بحثه- يدلان على مسمى واحد عرف أولا بعلم النفس اللغوي ليعرف لاحقا بعلم اللغة النفسي أو اللسانيات النفسية كغيره من العلوم النفسية المرتبطة بعلوم أخرى كعلوم التربية والصحة والاجتماع واللغة، وما تفرع عنها من علم النفس التربوي وعلم النفس العيادي / الاكلينيكي، وعلم النفس الاجتماعي.

غير أن المتتبع للدراسات التربوية واللغوية يدرك وجود فرق بين المصطلحين في الاستعمال والدلالة على الفرع المعرفي من الناحيتين التاريخية والوظيفية.

فمن الناحية التاريخية يعد علم النفس اللغوي أسبق في الظهور من اللسانيات النفسية/ علم اللغة النفسي، فقد ظهر الأول في أواخر القرن التاسع عشر، أما الثاني فلم يستقل بذاته إلا في بداية الستينات من القرن العشرين.

أما من الناحية الوظيفية فيعد علم النفس اللغوي فرعا من فروع علم النفس، يهتم بدراسة اللغة من حيث هي مكون من المكونات النفسية بعدها أداة الكشف عن الظواهر النفسية ؛ كالذكاء، والانتباه، والذاكرة، والخوف، وعيوب الكلام، أما اللسانيات النفسية/ علم اللغة النفسي فيهتم بدراسة اللغة من حيث هي هدف وليس أداة بالتركيز على الجوانب النفسية والعمليات العقلية ذات الصلة بها، وقد ظهرت اللسانيات/ علم اللغة النفسي فرعا تطبيقيا مكتمل الأركان بعد تغير النظر إلى اللغة والبحث في طبيعتها وكيفية اكتسابها وتعلمها، والبحث في حقائقها

الكامنة في الذهن، لأن اللغة في جوهرها بنى عقلية تعبر عنها سلوكات لفظية تحققها بنى شكلية.

والمصطلح بصيغتيه يعبر عن العلاقة الوطيدة بين علم النفس وبين علم اللغة، بسبب العلاقة بين اللغة والعمليات العقلية والنفسية المؤهلة لانتاجها وفهمها.